Scientific Journal of Faculty of Education, Misurata University-Libya, Vol. 1, No. 16, sep. 2020

Published online in September

المجلة العلمية لكلية التربية، جامعة مصراتة، ليبيا، المجلد الأول، العدد السادس عشر، سبتمبر 2020م

شرح نظم في علم البلاغة للشيخ عبدالله إجمال رحمه الله

(الجزء الأول الفصاحة والبلاغة)

د. بشير إبراهيم أبوشوفة

قسم اللغة العربية، كلية التربية، جامعة مصراتة

b.aboshofa@edu.misuratau.edu.ly

ملخص البحث:

يتناول البحث بالدراسة والتحليل نظمًا في علم البلاغة للشيخ عبدالله علي إجمال رحمه الله ، وهو من علماء مدينة مصراتة ظلت أعمالُه بعيدةً عن الدراسة والبحث فترة طويلة لأنه كان من سجناء النظام السابق، يتناول الناظمُ في الجزء الأول من النظم الفصاحةَ والبلاغةَ والشروطَ التي ينبغي أن تتوفّر في الكلام كي يكونَ فصيحًا، وتميّز النظمُ بالدقّة في العرض والسلاسة في الانتقال من موضوع إلى آخر بأمثلة رائعة من كلام العرب ومن إبداع الناظم، ممّا يجعل للبحث أهميّة بالغة في الدرس البلاغي.

الكلمات المفتاحية:

عبدالله اجمال، البلاغة، الفصاحة، النظم، عيوب الكلام، فصاحة الكلام.

Explanation of systems in the science of rhetoric by Sheikh Abdullah Ijmal, may God have mercy on him (Part one eloquence and rhetoric)

Abstract:

The study deals with the study and analysis of systems in the science of rhetoric by Sheikh Abdullah Ali Ejmal may god have mercy on him, who is one of the scholars of the city of misurata , whose works remained far from study and research for a long time because he was a prisoner of the previous regime, the regulator in the first part of the systems deals with eloquence and rhetoric and the conditions that must be met in speech in order to be eloquent, and he was distinguished by accuracy in presentations and smoothness in moving from one topic to another , with wonderful examples from Arab

words and the creativity of the organizer, which makes the research extremely important in the rhetorical lesson.

Key words:

Abdullah Ejmal, eloquence, rhetoric, defects of speech, eloquence of speech.

مقـــــدمـــة:

الحمد لله رب العالمين خلق الإنسان وعلّمه البيان، والصلاة والسلام على سيدنا محمد أفصح العرب لسانًا وأوضحهم بيانًا وعلى آله وصحبه ومن تبع سنته إلى يوم الدين وبعد.. فهذا نظم في البلاغة لأستاذي المرحوم بإذن الله عبدالله علي إجمال الجزء الأول منه في الفصاحة والبلاغة، وإكمالاً للفائدة أردفته بشرح يكشف ما أراده الناظم من هذا النظم، ويرجع سبب اختياري لهذا النظم دون سواه إلى سببين:

الأول: انتمائي لصاحب النظم فقد تشرّفت بالتتلمذ على يديه حينًا من الزمن في معهد القراءات في الثمانيات من القرن الماضي، وتأثّرت بخلقه وعلمه ، وشعرت باهتمامه ورعايته لي خاصة، ولا زالت دروسه في البلاغة وكلماته ترنّ في أذني إلى اليوم ممّا جعلني شديد الحبّ للبلاغة العربية فكانت هدفًا رئيسيًّا لي في دراستي الأكاديمية لاحقًا.

الثـــــاني: تميّز نظم الشيخ عبدالله عن غيره ، فقد اطلعت على بعض النظم في البلاغة كنظم عبد الرحمن الأخضري المسمى الجوهر المكنون فوجدت نظم الشيخ عبدالله أدقَّ عبارة وأحسنَ بيانًا وأسهل في الحفظ وأبعد عن الكلفة.

ومن المؤسف أن الشيخ عبدالله لم يُكمل كلَّ علوم البلاغة في هذا النظم أو لم يقع تحت يدي إلى نحو خمسة وثلاثين بيتًا، وقد يكون بقية النظم مبثوثًا في حواشي بعض كتب الناظم كما علمت من ابنه د. علي إجمال، وسأسعى إلى الحصول على بقية النظم إن تيسر لي ذلك، والله الموفق والمستعان.

تمهـــــيـــــد:

الناظم هو الشيخ الأستاذ عبدالله علي إجمال، يمتدّ نسبه إلى الشيخ إبراهيم المحجوب صاحب الزاوية المشهورة في مدينة مصراتة الليبية، ولد بقرية زاوية المحجوب سنة 1954م التحق بالدراسة سنة

1960م في مدرسة المحجوب المركزية الابتدائية ثم التحق في المرحلة الإعدادية بمدرسة مصراتة الداخلية، ثم معهد المعلمين سنة 1969م ثم التحق بالجامعة الإسلامية في مدينة البيضاء في قسم اللغة العربية والدراسات الإسلامية وتخرج منها 1974م (شعر عبدالله اجمال، للهادي أبوراوي، ص: 26ــ29).

عمل مدرسًا في العديد من المؤسسات التعليمية، منها المعهد الديني ومعهد القراءات بالمحجوب 1981م/1986م، وقد تشرفت بالتتلمذ على يديه في ذلك المعهد ودرست عليه قطر الندى في علم النحو، والبلاغة الواضحة ، والأدب الوسيط، وقد استفدت وزملائي الكثير من المعلومات والدروس وفتّح أعينَنا على جمال اللغة العربية وتميزها عن بقية اللغات، وكنت أعرض عليه بعضًا من المحاولات الشعرية الخجولة ومع هذا كان يشجعني ويشدّ على يدي وينبّهني بملاحظات قيمة لازالت في ذاكرتي رغم مرور السنين، وكنا نلجأ إليه في إعراب ما يستشكل علينا من بعض الجمل اللغوية فنلقى عنده ـــــــ رحمه الله ـــــــــ كل ترحاب وسعة صدر.

وتميّز الأستاذ عبدالله بذكاء خارق وسرعة بديهة وقدرة على النظم الشعري في كل العلوم تقريبًا، وقد كان يساعد زملاءه من طلاب الجامعات بنظم المواد التي يصعب عليها حفظها، فنظم حتى في علم النفس التربوي والرياضيات.

والشيخ عبدإجمال رحمه الله كان أديبًا ناقدًا وشاعرًا مفوّهًا، نظم الشعر في أغراض عديدة، منها قصيدته الرائعة في الأمة العربية وما تعانيه من تداعي الأمم عليها يقول في مطلعها:

أراكِ بوجه شاحبٍ متربّدِ تَرقرقُ في عينيْك دمْعةُ مكمدِ

وله قصيدة اجتماعية إرشادية تناول فيها ابتعاد الناس عن الدين الحنيف وتعالج بعض السلوك غير السويّ سمّاها مسلم بالبطاقة الشخصية، يقول في مطلعها:

أنا مسلمٌ بلسانه قد تابَا ودعـــــا وسبّحَ ربَّه وأنابَا

ومن أقوى قصائده وأطولها قصيدته التي بيّن فيها رأيه في بعض الأحكام الشرعيّة التي كانت محلّ جدل آنذاك عارض بها بعض المشائخ في ذلك الوقت المسماة "ردّ الجواب على من خالف الصواب"، في 666 بيتًا مع شرح لها...مطلعهـــــا:

يـــــا سامـــــعَ الدَّعواتِ للْإنســـَـــانِ اقـــــطعْ لســـــــــانَ مُزوِّرٍ فتّـــــَانِ

وله عدة مؤلفات منها:

ـــــــ عدة الطلاب في رسم الكتاب يهتم بقواعد رسم المصحف بما يوافق رواية قالون عن نافع المدني.

ـــــــــ ديوان شعري يجري تجميعه وسيطبع لاحقًا.

ـــــــــ نظم في البلاغة وهو ما نحن بصدد شرحه. (منظومة المواريث لعبدالله اجمال، ص:7).

وله كتب ألفها في سجنه طبعتها دار المختار طرابلس ليبيا بعد وفاته منها:

1ــ منظومة العِقد النضِر الشهيرة بالجمانة في مصطلح الحديث في 174 بيتًا مع شرحها.

2ــ نظم وشرح في علم المواريث في نحو 63 بيتًا.

3ــ كتاب بعنوان العمل بخبر الآحاد والجواب على شبهات الطاعنين.

تلقّفته أيدي الغدر.. فارتقى شهيدًا بإذن الله في مذبحة سجن "أبو سليم" في 29.6.1996م، رحمه الله رحمة واسعة وألحقه بالنبيئين والشهداء وحسن أولئك رفيقًا.

أولًا: الفصـــاحـــــة:

في مقدمة هذا النظم قال الناظم رحمه الله :

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد.. فقد أحسست بصعوبة منهج البلاغة على الطلاب وسرعة نسيانهم الأمثلة فبادرت إلى نظمها في أسلوب يسهل فهمه عليهم مع تزويد النظم بأمثلة مناسبة، وقصدت من ذلك الاستفادة والإفادة راجيًا غضّ الطرف عما يقع فيه من خلل لا يضرّ بالمقصود والإشارة بما يراه الناقد.

النص:

1ــ فصاحة الكـــــلام قـــــل بيانه كـــأفصح الصبي أي لسانـــــُه

بيّن الناظم المعنى اللغوي للفصاحة هو البيان، كقولك: أفصح الصبي في منطقه وفصح إذا بان وظهر كلامه، وأفصح الأعجمي وفصح إذا نطق لسانه بالعربية لا تشوبه شائبة، ويقال أفصح الصبح إذا بدأ ضوؤه ولمع، يقال في المثل: أفصح الصبح لذي عينين، وأفصح اللبن إذا نزعت رغوته وظهر، وفي المثل: وتحت الرغوة اللبن الفصيح، وهذا يوم مفصح أي جلي لا غيم فيه (المنهاج الواضح لعوني، ج1ص:8)

قال تعالى: ﴿وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا﴾ القصص (43)

أي أبين وأفصح لسانًا مني، فالفصاحة في اللغة لا تخرج عن معنى الظهور والبيان أما في الاصطلاح فهي عبارة عن الألفاظ البيتة الظاهرة المتبادرة إلى الفهم والمأنوسة الاستعمال بين الكتّاب والشعراء لحسنها (جواهر البلاغة للهاشمي، ص:19).

2ــ والكِلمة الفصيحة التي أتتْ سليمة من كل عيب قد خلت

3ــ عيوبهـــــــا تنافر الحـــــــروف أيضًا خـــــلاف الوضع والمألوفِ

4ــ كهُعخُعٍ وكالـــــمستَشْزرات وقـــــلـــــب أبـــــواق إلى بوقـــــــــات

5ــ وافرنقعوا ومثلهـــــا جحْلنجعُ وعزّروا بـــلا قـــريـــن يُسْـــمـــــــعُ

عيـــــوب الكلمـــــة:

يشترط الناظم في الكلمة كي تكون فصيحة أن تخلو من العيوب الآتية:

1- تنافر الحروف: وهو وصف في الكلمة ينشأ عنها ثقلها على اللسان مما يؤدي إلى عسر النطق بها، وهو نوعان: الأول تنافر شديد مثل الكلمة التي استشهد بها الناظم "الهعخع" وهو نبات ترعاه الإبل في قول الأعرابي وقد سئل عن ناقته فقال: "تركتها ترعى الهعخع" (الإيضاح للقزويني، ص:28)، وكلفظ

"الظش" وهو الموضع الخشن، والثاني خفيف مثل كلمة مستشزرات التي ذكرها الناظم، في قول امرئ القيس:

وَفَرعٍ يَزينُ المَتنَ أَسوَدَ فاحِمٍ أَثـــيـــثٍ كَـــقِنـــوِ النـــَخلَةِ المـــُتَـــعَثكِـــــلِ

غَدائِرُه مُستَشزِراتٌ إِلى العُلا تَضِلُّ العِقاصُ في مُثَنّىً وَمُرسَـــلِ

(امرئ القيس، ص:43)

وهي مما يقبح استعمالها لأنها تثقل على اللسان ويشق النطق بها، وإن لم تكن طويلة لأنا لو قلنا "مستنكرات" أو "مستنفرات" على وزن "مستشزرات" لما كان في هاتين اللفظتين من ثقل ولا كراهة، ولربما اعترض البعض في هذا الموضع، وقال: "إن كراهة هذه اللفظة إنما هو لطولها، وليس الأمر كذلك، فإنا لو حذفنا منها الألف والتاء قلنا: "مستشزر" لكان ذلك ثقيلاً أيضاً، وسببه أن الشين قبلها تاء، وبعدها زاي، فثقل النطق بها، وإلا فلو جعلنا عوضاً من الزاي راء ومن الراء فاء، فقلنا "مستشرف" لزال ذلك الثقل" (المثل السائر لابن الأثير،ج1ص:206ـــ207)، ومثل كلمة نُقاخ وهو الماء العذب الصافي في قول الشاعر:

وأحمق ممن يكرع الماءَ قال لي دع الخمرَ واشربْ من نقاخ مبرّدِ

(المنهاج ج1ص:14).

2- مخالفة الوضع: وهو الذي أشار إليه الناظم بقوله" أيضًا خلاف الوضع..." ومخالفة الوضع أن تكون الكلمة مخالفةً لما ثبت عن الواضع سواء أكانت مخالفة للقياس الصرفي أم لا (المنهاج،ج1 ص:10)، ومثال مخالفة القياس الصرفي قول المتنبي في مدح سيف الدولة:

إِذا كانَ بَعضُ الناسِ سَيفاً لِدَولَةٍ فَفي الناسِ بوقاتٌ لَها وَطُبولُ

(العرف الطيب، للمتنبئ ج2، ص:166)

فكلمة بوقات غير فصيحة لمخالفتها القياس الصرفي وهي التي ذكرها الناظم بقوله: ".. وقلب أبواق إلى بوقات"، فقد جمعت جمع مؤنث سالم، والقياس أن تجمع جمع تكسير "أبواق"، وكقول الشاعر:

مهْلاً أعاذل قد جربت من خُلُقي إنّي أجودُ لأقوامٍ وإنْ ضَنُوا

(كتاب الصناعتين، لأبي هلال، ص:137)

والقياس " ضنُّوا" بالتضعيف، ومثله قول الراجز:

الحمـــــد للـــــه العـــــــــلي الأجـــــــلل

والقياس "الأجلّ" بالتضعيف، وكل هذا من الضرورات التي يرخص للشاعر استعمالها عند مضايق الكلام، واعتياص المرام، لأنَّ الشعر مُحِلٌّ ارتكاب الضرورات التي قد لا تستحسن (نضرة الأغريض، للمظفر،ص:275).

3- الغرابة: وهي على نوعين: الأول: أن تكون الكلمة غير متداولة في اللغة العربية ويُحتاج في معرفة معناها إلى بحث وتنقيب في معاجم اللغة، ومثّل الناظم للغرابة بقول عيسى بن عمر النحويّ وقد سقط عن دابته: " مالكم تكأكأتم عليّ تكأكؤكم على ذي جنة، افرنقعوا عنّي" (الإيضاح، ص:28) أي ما بالكم تجمعتم عليّ كاجتماعكم على مجنون تنحّوا عني، ومثّل لها بكلمة "جَحْلَنْجَعُ" في قول أبي الهَميسَع:

من طمحة صبيرها جَحْلَنْجَعُ لم يحضْها الجدول بالتنوعِ

(جواهر البلاغة للهاشمي، ص:12)

الثاني: أن تكون الكلمة غير مستعملة عند العرب الخلص ويُحتاج في معرفتها تخريجها على وجه بعيد، كقول الراجز العجاج:

أَزمانَ أَبدَت واضحاً مُفَلَّجا

أغَـــرَّ بَرّاقـــــــــــــاً وَطَرفـــــــــــــاً أَبرَجـــــــا

وَمُقلَـــــةً وَحاجِبـــــــاً مُزَجَّجـــــــــــــــــــــاً

وَفاحِمـــــــاً وَمَرسِنـــــــــاً مُسَرَّجـــــــــــا

وصف الراجز محبوبته بعدة صفات منها قوله: ..ومرسنًا مسرّجًا، والمرسن بفتح السين وكسرها الأنف الذي يشد بالرسن، ثم استعير لأنف الإنسان، ومسرجاً: مختلفٌ في تخريجه، فقيل: من سرجه تسريجاً يهجه وحسنه، وقيل: من قولهم سيوف سريجية منسوبة إلى قين يقال له سريج، شبه بها الأنف في الدقة والاستواء، وقيل: من السراج وهو قريب من قولهم سرِج وجهه، بكسر الراء، أي حَسُنَ، والزَّجَجُ: دقة الحاجبين والمعنى أن لهذه المرأة الموصوفة مقلة سوداء، وحاجباً مدققاً مقوسًّا، وشعراً أسودا، وأنفاً كالسيف السريجي في دقته واستوائه، أو كالسراج في بريقه وضيائه.

والشاهد فيه: الغرابة في "مسرجا" للاختلاف في تخريجه (معاهد التنصيص للعباسي، ج1ص:14).

وزاد بعضهم عيبًا رابعًا وهو أن تكون الكلمة عير مستكرهة بحيث لا يمجها السمع(الحلية للدمنهوري، ص:27) مثل كلمة "الجرشي" بمعنى النفس في قول أبي الطيب:

مُبارَكُ الاِسمِ أَغَرُّ اللَقَب كَريمُ الجِرِشّى شَريفُ النَسَب

(العرف، للمتنبي، ج 2 ،ص:289)

والمعوّل عليه في تحديد الكلمة الغريبة هم الأعراب الخلص من سكان البادية، وليس العرب المولدين لغلبة جهلهم باللغة العربية (المنهاج، ج1ص:14).

عيـــــوب الكـــــلام:

قال الناظم:

6- ثم الكـــــلام عيْبـــُهُ التنـــــافرُ كادعوا بقُرْب قبْر حرْبٍ واذكرُوا

1- تنافر الكلمـــــات: ذكر الناظم أن أول عيوب الكلام هو التنافر بين الكلمات، وهو وصف في الكلمات مجتمعة يوجب ثقلها على اللسان ويعسر النطق بها وإن كان كل كلمة منها على حدة لا ثقل فيها(المصدر السابق، ص:18)، كقول القائل:

وقَبْرُ حَرْبٍ بمكانٍ قفر وليس قُرْبَ قَبْرِ حَرْبٍ قَبْرُ

ويقال إنه من أشعار الجن فلا يستطيع أحدٌ أن ينشدَه ثلاث مراتٍ متصلة، دون أن يَتتَعْتع فيها (الحيوان للجاحظ، ج6،ص:207).

وكقول الأعشى:

وَقَد غَدَوتُ إِلى الحانوتِ يَتبَعُني شاوٍ مِشَلٌّ شَلولٌ شُلشُلٌ شَوِلُ

(ديوان الأعشى، ص:59)

وكقول مسلم بن الوليد في وصف الخمر:

سُلَّتْ فَسُلَّت ثُمَّ سُلَّ سَلِيلُها فَأَتَى سَليلُ سَليلِها مَسْلُولا

(ديوان صريع الغواني، ص:57)

وقد يكون التنافر بين الكلمات خفيفًا كقول أبي تمام:

كَريمٌ مَتى أَمدَحهُ أَمدَحهُ وَالوَرى مَعي وَمَتى ما لُمْتُهُ لُمْتُهُ وَحدي

(ديوان أبي تمام، ج1، ص:290)

قال ابن رشيق: التكرير في أمدحه أمدحه مع الجمع بين الحاء والهاء في كلمة، وهما معاً من حروف الحلق هو خارج عن حدّ الاعتدال (العمدة للقيرواني، ج2،ص:264).

7- والضعف في التأليف نحوُ ما أتى إلاه يستغيثنـــا هـــــذا الفـــــتى

2- ضعـــف التأليـــف: وهو أن يكون الكلام جاريًا على خلاف ما اشتهر من قوانين النحو عند جمهور العلماء، كالإضمار قبل ذكر مرجع الضمير على متأخر لفظًا ورتبةً وحكمًا(جواهر البلاغة للهاشمي، ص:33)، كقول حسان بن ثابت يرثي مطعم بن عدي:

ولْو أنَّ مَجْدًا أخْلدَ الدهْرَ واحدًا منَّ الناس أبْقى مجْدُه الدهرَ مُطْعما

(ديوان حسان، ص:235)

فالضمير في "مجده" يخصّ "مطعما" المتأخر لفظًا ورتبة لأنه مفعول به في الجملة، وكالإتيان بالضمير المتصل بعد "إلا" وهو مخاف للمشهور من أقوال النحاة، وقد ذكره الفراء واحتج به أبو الطيب بقوله:

فما نبالي إذا ما كنتِ جارتَنـــــا ألاَّ يجـــــاورنـــــــــا إلاَّكِ ديَّـــــــــارُ

(الوساطة للجرجاني، ص:457)

والقياس أن يقال: إلا إيّاك، ومثّل الناظم لذلك بقوله: "إلاه يستغيثنـــــا هـــــــذا الفـــــــــــتى".

8- ومثلـــه التعقيـــــد لفظيًّا وردْ كاخش الذي وابعد تفز به الحسدْ

3- التعقيـــــد اللفظي: العيب الثالث الذي ذكره الناظم رحمه الله هو التعقيد اللفظي، وهو أن لا يكون الكلام ظاهر الدلالة على المعنى المراد لخللٍ واقعٍ في نظم الكلام بسبب تقديم أو تأخير فيه أو حذف أو غير ذلك مما يوجب صعوبة فهم المعنى(الحلية للدمنهوري، ص:28) ومثّل له بقوله: كاخش الذي وابعد تفز به الحسدْ، ففي الجملة تقديم وتأخير، ولعل ترتيبها المنطقي: ابعد واخش الذي الحسد به تفزْ، وهذا العيب على نوعين شديد وخفيف، مثال الشديد قول الفرزدق يمدح إبراهيم المخزومي خال هشام بن عبدالملك:

ومَا مِثْلُهُ في الناسِ إلا مُمَلَّكَاً أبُو أمِّهِ حيٌّ أبوه يُقاربه

وقد ذكر عبدالقاهر الجرجاني أنّ هذا البيت يُضْرَب به المثل في تَعَسُّفِ اللفظ ، وقال: "...فانظر أتتَصَوَّر أن يكون ذلك للفظهِ من حيث إنّك أنكرتَ شيئاً من حروفه، أو صادفتَ وحشيّاً غريباً، أو سُوقيّاً ضعيفاً؟ أم ليس إلاّ لأنه لم يُرَتِّب الألفاظ في الذكر، على مُوجب ترتيب المعاني في الفكر، فكدَّ وكَدَّر، ومنع السامعَ أن يفهم الغرضَ إلاّ بأنْ يُقدِّم ويؤخّر، ثم أسرفَ في إبطال النِّظام، وإبعاد المرَام، وصار كمن رَمَى بأجزاء تتألّف منها صورةٌ.." (أسرار البلاغة للجرجاني، ص:36)، ومعنى البيت ليس مثله من الناس أحد يقاربه في الفضائل إلا ابن أخته وهو هشام بن عبدالملك، ففصل بين المبتدأ والخبر وهما "أبو أمه أبوه" بفاصل أجنبي وهو "حيٌّ" ، وفصل بين الموصوف والصفة وهما "حيٌّ يقاربه" بفاصل أجنبي وهو "أبوه" ، وقُدّم المستثنى وهو "مملكًا" عن المستثنى منه وهو "حيٌّ" كما فصل بين البدل وهو

"حيٌّ" وبين المبدل منه "مثله" بفاصل كبير، وهذا الإفراط في التقديم والتأخير جعل البيت مما يصعب فهمه ويدخل بالتالي في عيب من عيوب الكلام وهو التعقيد اللفظي.

ومن أمثلة هذا النوع قول الشاعر:

فأصبحتْ بعد خطِّ بهجتِها كأنَّ قفْـــــراً رسومهـــــــا قلمًـــــا

"...فإنه قدم خبر كأنّ عليها وهو قوله "خط" وهذا وأمثاله مما لا يجوز قياس عليه، والأصل في هذا البيت فأصبحت بعد بهجتها قفرا كأن قلما خط رسومها، إلا أنه على تلك الحالة الأولى في الشعر مختل مضطرب(المثل السائر لابن الأثير،ج2، ص: 220).

ومثال الخفيف كقول الفرزدق يصف ذئبًا:

تَعَشَّ فَإِن واثَقْتَنِي لا تَخونُنِي نَكُن مِثلَ مَن يا ذِئبُ يَصطَحِبانِ

(ديوان الفرزدق، ص:628)

فقد فُصل بين الاسم الموصول وصلته "من يصطحبان" بفاصل أجنبي وهو "يا ذئب" فاعتبر ذلك من التعقيد اللفظي وإن كان خفيفًا.

وكقول المتنبي:

جَفَخَت وَهُم لا يَجفَخونَ بِها بِهِم شِيَمُ عَلى الحَسَبِ الأَغَرِّ دَلائِلُ

(العرف الطيب للمتنبي ج1،ص:354)

فُصل بين الفعل "جفخت" والفاعل "شيم" بجملة "وهم لا يجفخون بها" ، كما فُصل بين الصفة والموصوف وهما "شيم، دلائل" بالجار والمجرور "على الحسب الأغر".

9- والمعنوي نحوُ يا عين ابعدي لتَقْـــربي وابكي دمًـــا لتـــــجمُدي

10- وأرسلتْ حكامنا اللسانـــا أيْ أرســـلتْ جواسيســـًا ترانـــا

4- التعقيـــــد المعنوي: وهو أن لا يكون انتقال الذهن من المعنى الأول إلى المعنى الثاني الذي هو لازمه والمراد به ظاهرًا،(ينظر: الإيضاح للقزويني،ص:30)، وقد بيّن الناظم أنّ النوع الثاني من التعقيد هو

التعقيد المعنوي ومثّل له بقوله: أرسلت حكامنا اللسانا...أي أرسلت الجواسيس ترصد حركتنا، وهو تعبير غير دقيق يكتنفه الغموض لذلك فهو من التعقيد المعنوي، والأصوب أن يقال: أرسل الحاكم عيونه أي جواسيسه إذ يلزم في التجسس استعمال العيون أكثر من الألسن، ومثّل له بقوله: يا عين ابعدي لَتَقْــربي وابكي دمًــا لتـــــجمُدي، وهو المعنى نفسه في قول العباس بن الأحنف:

سَأطْلبُ بُعْدَ الدار عنْكم لتقربُوا وتسْكُبُ عيْنايَ الدمُوعَ لتجْمُدَا

(ديوان العباس، ص:106)

الشاهد في قوله: "لتجمدا" فقد كنّى بسكب الدموع على ما يوجبه الفراق من الحزن والكمد، فأحسن وأصاب، لأن من شأن البكاء أبداً أن يكون أمارة للحزن، وأن يجعل دلالة عليه، وكناية عنه كقولهم:

أبْكانِي الدهْرُ ويا ربما أضْحكني الدهرُ بما يُرْضِي

"... ساق هذا القياس إلى نقيضه، فالتمس أن يدل على ما يوجبه دوام التلاقي من السرور بقوله لتجمدا، وظنّ أن الجمود يبلغ له في إفادة المسرة والسلامة من الحزن، ما بلغ سكب الدمع في الدلالة على الكآبة والوقوع في الحزن، ونظر إلى أن الجمود خلو العين من البكاء وانتفاء الدموع عنها" (دلائل الإعجاز للجرجاني،ص:269) والحقيقة غير ذلك، لأن جمود العين كناية عن بخلها بالدموع عند الحاجة إليها، يؤيد ذلك قول الخنساء في رثاء أخيها صخر:

أَعَيَنَيَّ جودا وَلا تَجمُدا أَلا تَبكِيانِ لِصَخرِ النَدى

(ديوان الخنساء،ص:31)

فأرادت بقولها "لا تجمدا" لا تبخلا بالدموع عن صخر وهو غير المعنى الذي قصده العباس بن الأحنف.

أضاف بعضهم عيبًا رابعًا على العيوب المخلة بفصاحة الكلام وهو خلوصه من التكرار وتتابع الإضافات، مثال التكرار قول المتنبي يصف فرسًا:

وَتُسعِدُني في غَمرَةٍ بَعدَ غَمرَةٍ سَبــــوحٌ لَهــــا مِنها عَليها شَواهِدُ

(العرف للمتنبي، ج2، ص:100)

فقد كرّر الضمير الهاء عدة مرات، وهو عيب لا يتوجه عذر فيه وقد أنكر قدامة ابن جعفر ما ذكرناه من قبح تكرر حروف الرباطات، وقال في كتابه في الخراج وصناعة الكتابة فأما له منه أو منه عليه أو به له أو ما جرى هذا المجرى ففيه قبح..(سر الفصاحة للخفاجي،ص:105).

ومثال تتابع الإضافات قول ابن بابك يصف حمامة:

حَمامةَ جرعا حَوْمةِ الجنْدلِ اسْجعي فأنْتِ بمَرأى منْ سعادَ ومسْمَعِ

وفيهما نظر لأن ذلك إن أفضى باللفظ إلى الثقل على اللسان فقد حصل الاحتراز عنه بالتنافر وإلا فلا يخِلّ بالفصاحة ، وقد وقع في القرآن الكريم تكرار للضمائر قال تعالى: ﴿وَٱلشَّمۡسِ وَضُحَىٰهَا ۝١ وَٱلۡقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا ۝٢ وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا ۝٣ وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰهَا ۝٤﴾ **الشمس (1–4)** إلى آخر الآيات، وتكرير الإضافات كقوله تعالى: ﴿ذِكۡرُ رَحۡمَتِ رَبِّكَ عَبۡدَهُۥ زَكَرِيَّآ ۝٢﴾ **مريم (2)** (الحلية للدمنهوري،ص:30)

11- وكلٌّ من كلامُه صحيحُ من غير عيبٍ رجلٌ فصيحُ

ختم الناظم رحمه الله حديثه عن الفصاحة مبيّنًا أن الرجل لا يكون فصيحًا إلا إذا خلا كلامُه من كل عيب من عيوب الفصاحة المذكورة سلفًا، والفصاحة في المتكلم هي ملكة يستطيع بها التعبير عن المقصود بلفظ فصيح، والملكة هي صفة راسخة لدى المتكلم يستطيع أن يستعملها في كل أصناف الأدب وأغراض الشعر، ولا تكون هذه الملكة إلّا بممارسة أساليب العرب وأهل الفصاحة والبلاغة، والقراءة في القرآن الكريم والسنة النبوية، والاطلاع على كتب الأدباء ودواوين الشعراء.

ثانيًا البلاغة:

12- وعرّفوا لنا بلاغة الكلامْ بطِبقها لمقتضى حال المقامْ

بعد ما أنهى الشيخ الناظم حديثه عن الفصاحة وشروطها تطرق إلى الحديث عن البلاغة، والبلاغة في اللغة: "..الفَصاحةُ، والبَلْغُ: البَلِيغُ من الرجال، ورجل بَلِيغٌ وبِلْغٌ: حسَنُ الكلام فَصِيحُه يبلغ بعبارة لسانه كُنْهَ ما في قلبه، والجمعُ بُلَغاءُ، وقد بَلُغَ، بالضم، بَلاغةً أَي صار بَلِيغاً..." (اللسان لابن منظور، مادة: ب ل غ).

وعرّف الناظم بلاغة الكلام في اصطلاح علماء البلاغة بأنها بمطابقتها لمقتضى حال المقام، ومقتضى حال المقام مختلف "فإنّ مقامات الكلام متفاوتة، فمقام التنكير يباين مقام التعريف، ومقام الإطلاق يباين مقام التقييد، ومقام التقديم يباين مقام التأخير، ومقام الذكر يباين مقام الحذف، ومقام القصر يباين مقام خلافه، ومقام الفصل يباين مقام الوصل، ومقام الإيجاز يباين مقام الإطناب والمساواة، وكذا خطاب الذكي يباين خطاب الغبي، وكذا لكل كلمة مع صاحبتها مقام إلى غير ذلك.."(الإيضاح للقزويني، ص:32).

والفصاحة أعمُّ من البلاغة، فكلّ فصيحٍ بليغٌ، وليس كلٌّ بليغٍ فصيحًا.

ويتوقف تحقيق البلاغة على أمرين: الأول: الاحتراز عن الخطأ في تأدية المعنى المراد وهو مطابقة الكلام لمقتضى حال المقام، والثاني: السلامة من العيوب المخلّة بالفصاحة كما تقدم في شروط الفصاحة(المنهاج، ج1ص:32).

13- ثمَّ البليـــــغ من أتى كلامـــُـــــه مُطابقًـــــا لما اقتضى مقامـــُـــــه

بعد أنْ عرّف الناظم البلاغة بيّن أنّ البليغ هو من كان كلامه مطابقًا لمقتضيات المقام أي أن يكون الكلام حسب ما يقتضيه الموقف بين المتكلم والمتلقّي، فمخاطبة الجاهل تختلف عن مخاطبة العالم، وخطاب الرئيس يختلف عن المرؤوس، والكلام وقت الحرب والشدة يختلف عن الكلام مع الأحبة والعشاق، ومخاطبة المنكر لمقتضى الخبر تختلف عن مخاطبة غير المنكر.. "روي عن ابن الأنباري أنه قال: ركب الكندي المتفلسف إلى أبي العباس وقال له: إني لأجد في كلام العرب حشواً: فقال أبو العباس: في أي موضع وجدت ذلك، فقال: أجد العربَ يقولون: عبد الله قائم، ثم يقولون: إن عبد الله قائم، ثمَّ يقولون: إن عبد الله لقائم، فالألفاظ متكررة والمعنى واحد، فقال أبو العباس: بل المعاني مختلفة لاختلاف الألفاظ، فقولهم: عبد الله قائم إخبار عن قيامه، وقولهم: إن عبد الله قائم، جواب عن سؤال سائل. وقولهم: إن عبد الله لقائم جواب عن إنكار منكر قيامه، فقد تكررت الألفاظ لتكرر المعاني، قال: فما

أحار المتفلسف جواباً" (الدلائل للجرجاني،ص:315)، وقيل لبشار بن برد: إنك لتجيء بالشيء الهجين المتفاوت، قال: وما ذاك؟ قال قلت: بينما تقول شعراً تثير به النقع وتخلع به القلوب، مثل قولك:

إذا ما غضبنا غضبةً مضريّةً هتكنـــا حجابَ الشمسِ أو تمطر الدمَا

إذا مـــا أعرنا سيّداً من قبيلـــةٍ ذرى مـــنبـــر صلى علينـــا وســـلَّمـَا

تقول:

ربابـــة ربـــــة البيـــــت تصبُّ الخلَّ في الزيْتِ

لها عشرُ دجاجـــــاتٍ وديـــكٌ حَسَـــنُ الصَّـــوْتِ

فقال: "لكل وجه وموضع، فالقول الأول جدٌّ، وهذا قلته في ربابة جارتي، وأنا لا آكل البيض من السوق، وربابة هذه لها عشر دجاجات وديك، فهي تجمع لي البيض وتحفظه عندها، فهذا عندها من قولي أحسن من: قفا نبك من ذكرى حبيب ومترل

عندك" (الأغاني للأصفهاني، ج3، ص:112).

وذكر العلماء أنّ موسى كليم الله عليه السلام عند ما سأله ربه: ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿١٧﴾﴾ طه (71) أدرك بأنّه في حضرة الذات الإلهية فأطال الحوار قدر الإمكان فقال: ﴿قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُاْ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخْرَىٰ ﴿١٨﴾﴾ طه (81) فزاد على الإجابة عن ما في يمينه إلى فوائد تلك العصى، وهو ما يسميه العلماء بالتلفيف "وهو أن يقصد المتكلم التعبير عن معنى خطر له أو سئل عنه، فيلفّ معه معنى آخر يلازم كلمة المعنى الذي سئل عنه، كقول الله تعالى مخبراً عن موسى عليه السلام وقد قال سبحانه له: "وما تلك بيمينك يا موسى، قال هي عصاي أتوكأ عليها وأهش بها على غنمي ولي فيها مآرب أخرى" وكقول الرسول عليه السلام وقد سئل عن البحر في حديث أوله: إنا نركب البحر، فحواه السؤال عن ماء البحر هل تجوز به الطهارة؟ فقال: هو الطهور ماؤه الحل ميتته" (تحرير التحبير للمصري، ص: 343).

14- وخاليًا من العيـــــوب فاجْتنبْ غرابةً بالاطلاع في الكتـــبْ

15- والخُلْفَ باتبـــــاعِ علْمِ الصّرْفِ وادْرأْ بعـــلم النحـــو كلَّ ضَعْفِ

بعد أن اشترط الناظمُ في الرجل البليغ أن يكون كلامه مطابقًا لمقتضى مقامه أضاف شرطًا آخر وهو أن يكون كلامه خاليًا من العيوب المذكورة في شروط فصاحة الكلمة والكلام، فيجب الاحتراز من الخطأ في تأدية المعنى المراد بلفظ فصيح غير مطابق لمقتضى الحال فلا يكون بليغًا ويجب على البليغ أن يتجنب الغريب من الكلام ومخالفة القياس وذلك بالاطلاع في كتب علم اللغة وعلم التصريف، وأن يتجنب ضعف التأليف والتعقيد اللفظي باتباع قواعد علم النحو، وملخص كلام الناظم أنَّ الغرابة يمكن اجتنابها بالاطلاع على كتب اللغة، ومخالفة القياس يمكن الاحتراز منها بدراسة قواعد علم الصرف والبحث في صيغ المفردات، كما يمكن اجتناب ضعف التأليف والتعقيد اللفظي بدراسة علم النحو(المنهاج،ج1 ص:32).

16- والذوقُ من تنافرٍ يحمي اللسانْ ويحْفظُ المعنى دراســـــةُ البيـــانْ

أمّا الذي يحمي اللسان من تنافر الحروف والكلمات هو الذوق كما أشار الناظم رحمه الله، فالذوق هو الذي يُشعر البليغ أنّ كلمة مستشزر فيها تنافر بين حروفها وأنّ كلمة مرتفع أنسب منها، وكلمة بُعاق للسحاب ثقيلة تصكّ الأذن وكلمة ديمة أحسن منها، وبيّن الناظم أنّ الذي يحمي اللسان من التعقيد المعنوي هو دراسة علم البيان، فبه يستطيع الأديب أن يُعبّر عن المعنى الذي يريده بطرق مختلفة.

وبذلك انتهى أستاذي الناظم عليه رحمة الله من الحديث عن الفصاحة والبلاغة وبدأ في نظم علم البيان، و سأشرح ما نظمه في مناسبة ثانية إن شاء الله تعالى.

خـــلاصة البحـــث:

بعد هذه الرحلة الجميلة لما خطّه نظمًا الشهيدُ بإذن الله أستاذي الشيخ عبدالله اجمال يمكن أن نلخّص ذلك في الآتي:

1. عرّف الناظم الفصاحة وذكر الشروط الواجب توفرها في الكلمة وذلك بأن تخلو من عدة عيوب كي تكون فصيحةً.
2. وفي استعراضه لعيوب الكلمة التزم الناظم بالأمثلة الواردة في كتب البلاغة بأسلوب مشوق وإيجاز غير مخلٍّ.
3. عدّد عيوب الكلام ومثّل لها بأمثلة بعضها موجود في بطون الكتب والبعض الآخر من إبداعه كقوله: إلاه يستغيثنا هذا الفتى، وقوله: كاخش الذي وابعد تفز به الحسد.
4. وفي تعريفه للبلاغة اختار التعريف الأشهر لها وهو مطابقة الكلام لمقتضى حال المقام دون أن يذكر تعاريف أخرى للبلاغة موجودة في الكتب، ولعل مردّ ذلك أنّ هذا النظم يخصّ طلاب الثانوية الدينية فلا يقتضي المقام أكثر من ذلك.
5. وتميّز حديثه عن الشروط الواجب توفرها في البليغ باتباع الشروط المذكورة في أمهات كتب البلاغة.

مصادر البحث ومراجعـــــه:

- القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم، مصحف المدينة الإلكتروني.

1. أسرار البلاغة، عبدالقاهر الجرجاني، محمد خفاجي وعبدالمنعم شرف، دار الجيل، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1991م.
2. الأغاني، أبو فرج الأصفهاني، تحقيق: إحسان عباس وإبراهيم السعافين وبكر عباس، دار صادر، بيروت، لبنان، الطبعة الثالثة، 2008م.
3. تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر، ابن أبي الإصبع المصري، تحقيق: حفني محمد شرف، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، الطبعة الأولى، 1963م.
4. جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع ، السيد أحمد الهاشمي، المكتبة العصرية بيروت، لبنان ، الطبعة الأولى، 1999م.
5. حلية اللب المصون، أحمد الدمنهوري، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 2003م.
6. الحيوان، الجاحظ، تحقيق: عبدالسلام هارون، مكتبة مصطفى البابي وأولاده، مصر، الطبعة الثانية، 1967م.
7. دلائل الإعجاز، تحقيق: محمود شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، الطبعة الثالثة، 1993م.
8. ديوان الأعشى، دار صادر، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، (ب ـــــــــ ت).
9. ديوان امرئ القيس، تحقيق: عبدالرحمن المصطاوي، دار المعرفة، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، 2004م.
10. ديوان حسان بن ثابت، تحقيق: عبدأ مهنا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، 1994م.

11. ديوان الخنساء، تحقيق: حمدو طماس، دار المعرفة، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، 2004م.

12. ديوان العباس بن الأحنف، تحقيق: عاتكة الخزرجي، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، الطبعة الأولى، 1954م.

13. ديوان الفرزدق، تحقيق: علي فاعور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى،1987م.

14. سر الفصاحة، ابن سنان الخفاجي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1982م.

15. شرح ديوان أبي تمام، تحقيق: راجي الأسمر، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، 1994م.

16. شرح ديوان صريع الغواني مسلم بن الوليد، تحقيق: سامي الدهان، دار المعارف، مصر، الطبعة الثالثة، 1985م.

17. شعر عبدالله إجمال جمع وتوثيق، د. الهادي أبوراوي، رسالة دكتوراه، جامعة طنطا. مصر ،العام الجامعي:2015م.

18. العرف الطيب في شرح ديوان أبي الطيب، تحقيق: ناصيف اليازجي، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1981م.

19. العمدة، ابن رشيق القيرواني، تحقيق: محمد محي الدين عبدالحميد، دار الجيل، بيروت، لبنان، الطبعة الخامسة، 1981م.

20. كتاب الصناعتين الكتابة والشعر، أبوهلال العسكري، تحقيق: علي البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى،2006م.

21. لسان العرب، ابن منظور، دار صادر، بيروت، لبنان، الطبعة الثالثة، 1994م، مادة (ب ــ ل ــ غ).

22. المثل السائر في أدب الشاعر والكاتب، ابن الأثير، تحقيق: أحمد الحوفي وبدوي طبانة، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة، الطبعة الثانية، (ب ــ ت).

23. معاهد التنصيص، عبد الرحيم العباسي، تحقيق: محمد محي الدين عبدالحميد، عالم الكتب، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى،1948م.

24. منظومة المواريث، الشيخ عبدالله إجمال، دار المختار، طرابلس، ليبيا ، الطبعة الأولى، 2017م.

25. المنهاج الواضح ، حامد عوني، وكتبة الجامعة الأزهرية، القاهرة، مصر، الطبعة الأولى، (ب ــ ت).

26. نضرة الأغريض في نصرة القريض، المظفر العلوي، تحقيق: نهى الحسن، مجمع اللغة العربية، دمشق، الطبعة الأولى،1976م.

27. الوساطة بين المتنبي وخصومه، القاضي الجرجاني، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم وعلي محمد البجاوي، مكتبة البابي الحلبي وأبنائه، الطبعة الأولى، (ب ــ ت).